

تفسير البغوي

87 - قوله D : { وذا النون } أي : اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى { إذ ذهب مغاضبا { اختلفوا في معناه : .

فقال الضحاك : مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال : كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطا ونصف فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فإنني ألقى [الرعب] في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال يونس : إنه قوي أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج فقال له يونس : هل أمرك الله بإخراجي قال : لا قال : فهل سماني لك ؟ قال : لا قال : فهاهنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم فركبه . وقال عروة بن الزبير و سعيد بن جبير وجماعة : ذهب عن قومه مغاضبا لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى .

وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة هنا كالمفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان .

وقال الحسن : إنما غضب ربه D من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص إليهم فقبل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وكان في خلقه ضيق [فذهب مغاضبا] .

وعن ابن عباس فأتى جبريل يونس فقال : انطلق إلى أهل نينوى فأنذروهم قال : ألتمس دابة قال : الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة .

وقال وهب بن منبه : إن يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فخذفها من يده وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أوزلي العزم من الرسل مقال لنبيه [محمد A] : { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل } (الأحقاف : 35) وقال : { ولا تكن كصاحب الحوت } (القلم : 48) .

قوله D : { فظن أن لن نقدر عليه } أي لن نقضي بالعقوبة قاله مجاهد و قتادة و الضحاك و الكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال : قدر الله الشيء تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى

واحد ومنه قوله : { نحن قدرنا بينكم الموت } (الواقعة : 60) في قراءة من قرأها بالتخفيف دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز و الزهري : { فظن أن لن نقدر عليه { بالتشديد وقال عطاء وكثير من العلماء : معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى : { اﻻ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر } (الرعد : 26) أي يضيق وقال ابن زيد : هو استفهام معناه : أفظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر [بضم الياء] على المجهول خفيف .

وعن الحسن قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنوب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبي اﻻ أن يدعه للشيطان فقفده في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة وقال عطاء : سبعة أيام [وقيل : ثلاثة أيام] وقيل : إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل : بلغ به تخوم الأرض السابعة فتأب إلى ربه تعالى في بطن الحوت وراجع نفسه فقال : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه اﻻ من بطن الحوت برحمته والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضبا لقومه أو للملك { فنادى في الظلمات } أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطت الحوت { أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } .

وروي عن أبي هريرة مرفوعا : أوحى اﻻ إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى اﻻ إليه : أن هذا تسبيح دواب البحر قال : فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : ياربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال : ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال : نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفده في الساحل كما قال اﻻ تعالى : { فنبدناه بالعراء وهو سقيم } (الصافات : 145)